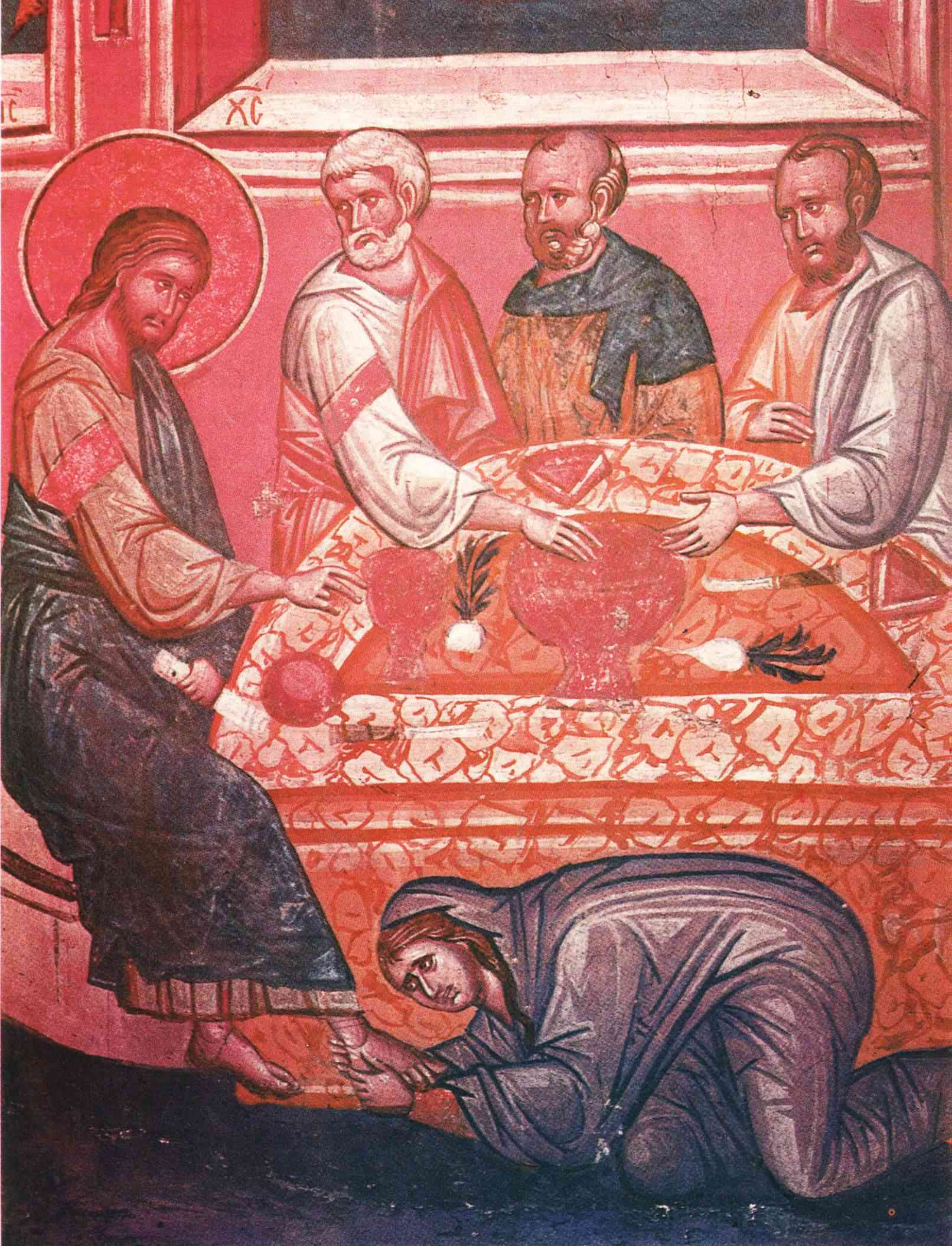


عظة على شمشون

لما ر يعقوب

أسقف نروج



عظة على شمشون^(١)

- يا ابن الله، إن أسرارك قد أضاءت في النبوات كنور مشرق،
لذلك افتح عيني، لكيما أرى جمالها.
- في كتب النبوة انكشف وجهك العظيم،
فكنت وكأنك في موكب جليل، فراك العالم كم أنت جميل.
- كان مثالك من جيل لجيل قد لاح مثل كوكب،
فسرّ بظهوره كل من رأى وتعجب.
- برموز وأقوال مبهمة في الأسفار،
ومن خلال رؤاهم في أماكن شتى، صورك الأبرار.
- في أزمانهم وأجيالهم كانوا يدنون منك بتبجيل،
الواحد منهم يسلمك للآخر ويصير بك شهيراً.
- فمن شيث الرجل التقى، تعرّف عليك نوح البار،
ومع تعاقب الأجيال، صار مع إبراهيم موضعك.
- إسحق قبلك، وفي الجلدثة صار على شبهك،
يعقوب، هرب لبلاد آرام، سارقاً صورتك.
- أقمت يوسف ليشهد لك، وبين المصريين أضاء،
وموسى عاينك مع أهلك على جبل سيناء.
- هارون وصفك بدم الذبائح والقرايين،
وبالدماء رش كل الطريق، لحين فدائك العظيم.
- يشوع بن نون تزين بجمال اسمك،
وكما أراد، أوقف النهار، ولم يدعه يتحرك للأمام.

(١) مترجمة من كتاب:

A Homily on Samson By Mar Jacob, Bishop of Serugh (+ A.D. 521)

Translated from the Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

■ جدعون، بصلاته، تخيّلك مع الطل الذي نزل،
■ وفيك استطاع أن يغزو معسكر المديانيين وغلب.
■ يفتاح، عندما ذبح بقرته، اكتشف طريق آلامك،
ورشه بدماء تلك العذراء كرمز لك.

■ وماذا أقول عن شمشون، هذا الرجل المشهور،
■ فكل من يتأمله، يراه غنياً في الأسرار والرموز.
■ الأمر يتطلّب مني عظة على هذا العظيم،
■ فأسجّل قصته مع هؤلاء الأبطال المشاهير.
■ يزعجني ويؤلمني أن مكانه في الصورة فارغ،
■ ولم أقدم له أنشودة توضح تلك الفضائل.
■ ساعدني، يا إلهي، لأفي دين ذاك النذير،
■ لأقدم له تصويراً أميناً ومليناً بالأعاجيب.
■ من آن الآخر كان يصنع أفعالاً حمقاء،

■ ومع هذا، ليس من حقي الإهمال والازدراء، لهذا المعدود مع العظماء.
■ فلكل من يفهم، أنشد عنه المختار بولس،
■ «يعوزني الوقت لأخبر عن شمشون».
■ وأنا أيضاً، الوقت لن يسعفني لأقول،
■ عن هذا النذير صاحب الرموز.

■ كان نصيبه من عند الرب في زمانه،
■ أن يكون واحداً من مخلصي إسرائيل، كما هو مكتوب.
■ بسبب إيمانه بالله، عُدد بين المشهورين،
■ وفي أيام القضاة، كان أعظم الشجعان.
■ أمه رأت ملاكاً وتكلّم معها،
■ بأن تحبل وتلد نذيراً ومخلصاً أنبأها،
■ وتلك المرأة الحكيمة أخبرت رجلها،
■ عن رؤيتها التي من الله أخذتها.

- وعاد ملاك الله وظهر لها ولرجلها،
معيداً كلامه بحبلها شمشون ولدها.
- أوصى المرأة بالألا يشرب المسكر والخمرة،
ولا يأكل شيئاً من نتاج الكرمة.
- «نذيراً للرب سيكون كل أيام حياته،
فربته أمه على القداسة دون النجاسة».
- منوح أصعد طعاماً، وعلى الصخرة رفعه،
فظهر لهيب المذبح عليه وحرقه.
- لنعجب الآن على قديسينا القدماء،
كم كانوا أنقياء وبسطاء وعديمي الرياء.
- وجهاً لوجه كانوا مع الملائكة يتكلمون،
وفي الاستعلانات الإلهية مشمرين،
كانوا متضعين وبسطاء ومدققين،
ومع استعلاناتهم، لم يكونوا متكبرين أو منتفخين.
- وكمن يحدث صاحباً أو قريباً أو جاراً،
تكلم الرسول، بخصوص شمشون، مع منوح وامرأته،
وعلى نفس المنوال، قبلاً منه ما قال،
وكلامهما معه كان بحرية دون خوف.
- ومن بساطتهما، أولما له وليمة،
ولكن التهمتها نار الذبيحة.
- توقد اللهيب أمام الملاك المنير،
ومع النار، التي أكلت القربان، ارتفع للسماء.
- صعد الملاك الناري إلى السماء، وأيضاً اللهيب،
ومن الرؤيا، وما قد تم، كان الأمر العجيب.
- وكما وعد، حبلت العاقر بالابن شمشون،
ليخلص الشعب المثقل بالقيود.

- نال قوة من لدن الرب، وأيضاً شدة وجسوراً،
لِيُنْهَضَ وَيَخْلُصَ شعبه المدوس.
- المختار، أرسله الرب، ليشنَّ على الفلسطينيين الحرب،
وشدَّده على عنف القتل.
- وهكذا بدأ شمشون في زيارة قرى فلسطين،
لأن قوة الرب بدأت فيه تستنير.
- إلى مدينة للفلسطينيين نزل ليخطب امرأة،
فزأر عليه شبل أسد، كما لو كان خصماً جبَّاراً.
- إلى مَ يَشِير شمشون غير الرب الذي جاء ليقترن بكنيسة الأمم،
ويقابله الموت كعدو جبَّار؟
- نزل شمشون ليأخذ فتاة من غير المختونين،
فصار رمزاً للرب الذي جاء ليخطب بإنجيله ابنة الوثنيين.
- تعال وانظر هنا، إن كنت تعرف كيف ترى حسناً،
وتأمل صورة هؤلاء العذارى مع عريسهن.
- ضد شمشون الذي ذهب إلى أرض الفلسطينيين،
وثب عليه شبل أسد باستهزاء.
- وضد الرب الذي أتى ليخطب ابنة الوثنيين،
تجاسر الموت ليتسلط عليه ويدخله العرين.
- والآن لنرَ ماذا حدث للموت والأسد،
بواسطة الرب ونذيره شمشون.
- أرسل القتال أسداً ضد شمشون،
فقد رآه إنساناً كاملاً مملوءاً بالفضائل.
- قرَّر الانتقام من عظمة ذاك العبراني،
من خلال الأسد الذي أتاه باقتحام.
- سِرُّ الابن حلَّ على النذير، وقوَّاه ليصنع أعمالاً مملوءة بالأعاجيب،
روح الله امتلكه بقوة، فقبض على الأسد وشقَّه كجدي صغير.

- رموز ربه أضاءت فيه كالكوالكب،
فأعطته قوة وشدة ليدبح الأسد.
- مزقه بيديه بلا سيف أو سلاح،
ففي طريقه كان حاملاً سلاح الأسرار.
- ليتزوج امرأة، هي مثال كنيسة النور،
ارتحل شمشون بعد أن ذبح شبل الأسد.
- كانت ابنة الأمم رمزاً للوثنيين،
لأن ابن الله قام وأباد الموت فخلصها.
- قدّم شمشون صورة لإلهنا في أرض فلسطين،
فقد كان نصيبه أن يعلنها هناك.
- من عليائه انتفض ابن الله ونزل لأرضنا،
ليأخذ كنيسة الأمم له عروساً، كما قلنا.
- وقابله الموت، أي الأسد، الذي التهم كل الأحيال،
وكما أباد شمشون الأسد، هكذا الرب أباد الموت.
- استمر في طريقه، وبصليبه خطب وأخذ زوجة،
وهي التي لأجل خلاصها نزل إلى منزل في أرضنا.
- عجز الأسد أن يوقف رحلة شمشون،
خطب وأخذ زوجة وصنع كمسرتة ثم رحل.
- ولا أيضاً رحلة ابن الله بالموت توقفت،
أخذ الكنيسة، جعلها له، وللسماء صعد.
- تلك الأسرار، في ذاك العبراني، التمعت،
عندما شق الأسد ذائلاً إياه كما سمعتم.
- بعدما قسمه نصفين، مضى في طريقه وتزوج كما أراد،
وفي رجوعه، ينكشف السر، ونتقدّم لمرحلة جديدة.
- في رقّة الأسد ظهر قرص من العسل،
مغزى عظيم، بعيداً عن الرب صعب التأويل.

- من جوف الأسد، أخذ شمشون العسل وأكل،
إنها لمعجزة جديدة، من الأكل خرج أكل.
- ويا حلت على النذير فاستنار،
امتلاً طريقه بالرموز والأسرار المخفأة.
- وضع أحجية: الحلاوة خرجت من المرارة،
ولكن خارجاً عن الرب ، لا يمكن أن يجد القول تفسيراً.
- قدّم للفلسطينيين مثلاً، وطلب منهم التفسير،
ولكن شرح السر كان مخفياً، لحين، إلى أن يُعلن في وقته.
- كان اللغز المملوء بالأسرار قد حُفظ مغلقاً مكنوناً،
إلى أن نزل ابن الله وكشف الأسرار جميعها.
- ولا حتى صاحبه، شمشون، فهم المثل وما يعنيه،
لأن الزمان لم يكن قد جاء لكشف السر وما يُخفيه.
- كل الذي عَلِمَهُ أنه قتل الأسد ووجد العسل،
أمّا تفسير سرّهما فما عَلِمَ.
- صنع ما صنع وجعله أحجية للفلسطينيين،
أراد أن يفهم العمل وكيف وقع.
- أمّا سر إلهنا، الذي هو غاية طريق شمشون كله،
فكان مخبوءاً، وفي وسط تلك الإعلانات النبوية مخزوناً،
ثمّ أشرق الرب، مثل النهار للجالسين في الظلام،
وانكشف سرّه في كل العالم، كالأنوار.
- ظلت أحجية ذاك العبراني على الفلسطينيين مُخفأة،
ولم تنكشف إلى أن جاء المسيح للعالم.
- المرارة هي الموت، وإلهنا هو حلاوة العسل،
وتحقّق جنهاراً أن الحلاوة خرجت من المرارة.
- الموت هو الأكل الذي أكل كل الأجيال،
ومنه نهض المسيح، خبزاً للعالم يأكله الناس ويحيون.

- وهكذا تم القول: من الآكل خرج أُكُلٌ،
- ولكن مَنْ عَلِمَ في ذاك الزمان تفسير تلك الأسرار؟
- ولا حتى شمشون - الذي صنع الأحجية بالأسد الذي قتله،
- كان يعلم بالسر المخفي الذي يحمله.
- وإلى أن أشرق نور الرب على خليقته،
- كانت كنوز هذه الأسرار المدفونة مخفية.
- لو لم تكن أسرار إلهنا موجودة في شمشون،
- فلا يكون الملاك قد أنبأ بميلاده.
- مثال الابن قد استعلن، بواسطة ملاك،
- ومن أجله أُعطيت إعلانات شتى على مدى الزمان.
- وكل مَنْ كان نصيبه أن يسير في موكب ابن الله،
- استحق كرامة الرؤى وزيارات الملائكة.
- ما أجمل شمشون حين رَسَمَ مثال المسيا،
- ووضع سر الأحجية: الحلاوة نبعت من المرارة.
- إلهنا الكلمة هو أحلى من العسل للفم،
- فمرارة كل العالم، هو يُعطي إياها حلاوة الطعم.
- والآن توجد في قصة شمشون أفعال جميلة وأخرى قبيحة،
- بعضها سامية وبعضها نابية، ومن الواجب أن نذكر كل الحقيقة.
- حينما حمل ملامح الرب، كان مقبولاً،
- ولما سقط من اتزانه صار دنساً مكروهاً.
- كان جميلاً عندما ذبح شبل الأسد،
- وعندما غلبته يدا المرأة أصبح كريهاً.
- كان عظيمًا عندما التقط الحلاوة من المرارة،
- ولما كشف سره للمرأة صار ذليلاً.
- دعنا الآن نحكي قصته كاملة.
- ولا نفتأ بما فيها من أفعال صالحة وطالحة بآن واحد.

- فكما هو مكتوب: صنع عُرساً وتزوّج،
وقدّم للفلسطينيين أحجية العسل والأسد.
- وَعَدَ شمشون أن يعطيهم حُللاً وثياباً،
إن استطاعوا تفسير المثال.
- حالاً، غلبت المرأة بخداعها الرجل العظيم،
علمت سره، وجعلته مديوناً للفلسطينيين.
- قام البطل ليجمع الغنائم، فأحرق بغضبٍ وسخطٍ عظيم،
وانتفض للجهاد لذبح الأعداء.
- طرحهم مقتولين وعرّى أجسادهم وأخذ حللهم،
فكما وعدهم، أعطاهم مما هو لهم.
- كان انفعاله عظيماً وسَكِرَ سيفه بذبيحتهم،
أرعبهم وملاً بالفرع كل أبطاهم.
- عن طريق الأحجية، أستهلكت شجاعته،
وصار معلوماً أن شمشون قتل شبل الأسد،
أخذته الحماسة، وكوّم الأسلاب ونال الثياب،
إلى كل الأرض انتشرت الأخبار بياس عمله.
- لأجل الخيانة التي أصابته، انطلق حانقاً،
لابد أن يُلحق بالفلسطينيين الانتقام لأجل سوء أعمالهم.
- وما تزال نوائب عظيمة في انتظارهم بواسطة ذات الجبار،
أخذوا زوجته لرجل آخر، وتضاعف لديه احتدام الغضب.
- قام شمشون وأمسك بثلاث مئة ابن آوي،
لكي بخيلة خطيرة يحرق المدينة.
- جعلهم أزواجاً، بحسب قصده،
وربط شعلة بين كل حيوانين وأشعلها بالنار.
- انطلقت الحيوانات تحمل الشعل المئة والخمسين في كل مكان،
واندلعت النيران، وانتشرت بسرعة وراءهم.

- انزعج الفلسطينيون بهذا المشهد الغريب،
النار تنتشر من مكان لمكان سريعاً،
والحيوان - تهرب حتى لا تحرقها المشاعل،
والنيران تتواصل تحملها ابن آوي.
- مَنْ يستطيع أن يمسك الوحوش أو يكبح النار؟
أو مَنْ يقدر أن يُحمد اللهيب؟
- أسرع النار في كل مكان من الإقليم،
مَنْ يستطيع أن يطفى تلك النار التي غطت الأرض كلها؟
اشتعلت النيران في القمح والأكداس،
وكل ما على وجه الأرض طاله النار.
- وصلت النيران للكروم والزيتون فأصابها التدمير،
وكل غاباتهم أحرقتها اللهيب.
- آه لتلك الوحوش! مَنْ يقدر أن يمسكها لتتوقف النيران؟
آه لتلك النار! مَنْ هناك حتى يطفئها؟
- وميض فجائي من النار، يسرع في كل الإقليم،
كم كان مرعباً منظر الوهيج وهو يمضي في طريقه.
- من رأى؟ مَنْ شهد؟ مَنْ تعرّف؟
مَنْ عَلِمَ كيف وقعت هذه الحرائق؟
- ما الذي يستطيع أهل البلاد، الذين رأوا النار تغطي أرضهم،
أن يقولوه عن تلك الحرائق العظيمة التي حدثت بينهم؟
- ذاعت الأخبار أن شمشون قد أشعل الأرض كلها بالنار،
وها هي عجيبة جديدة تُضاف بجانب مثيالاتها.
- بعد تلك الحادثة، أطلق الفلسطينيون التحذير،
جاهدوا الأسر شمشون، وفضحوا الذي أحرق الإقليم.
- أغار الفلسطينيون على العبرانيين،
ومن الخوف قام أبناء شعب شمشون وقبضوا عليه.

- قَيَّدُوهُ بِقُوَّةٍ بِحَبَالٍ جَدِيدَةٍ،
- وَقَدَّمُوهُ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ لِيَلْهَوْا بِهِ.
- حِينَئِذٍ ظَهَرَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ عَلَى النَّذِيرِ،
- وَيَجْبُرُونَ كَسْرَ الْأَغْلَالِ وَطَرَحَها أَرْضاً.
- وَجَدَ شَمْشُونَ لَحْيَ حِمَارٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ،
- فَأَخَذَهُ، بَدَلاً مِنْ السِّلَاحِ الَّذِي افْتَقَدَهُ.
- هَاجَمَ الْأَعْزَلَ صَفُوفَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ،
- أَبَادَهُمْ، وَفِي كَوْمَتَيْنِ جَعَلَ جِشْهُمَ.
- أَلْفَ رَجُلٍ قَتَلَهُمْ بِمُفْرَدِهِ بِذَلِكَ السِّلَاحِ،
- لَأَنَّ رُوحَ اللَّهِ كَانَ يَمْتَلِكُهُ فِي هَذَا الْجِهَادِ.
- السِّلَاحُ تَمْتَلِكُهُ الدَّهْشَةُ، لِأَنَّ شَمْشُونَ لَمْ يَطْلُبْهُ،
- صَارَ السِّيفُ عَدِيمَ الْقُوَّةِ، بَعْدَ أَنْ حَازَ بِالْعَظَمِ النُّصْرَةَ.
- قَوْسٌ وَوَتَرُ الْفِلَسْطِينِيِّينَ خَابَا مَعَ كُلِّ سَهَامِهِمْ،
- فَبَعْظُمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي يَدِ رَجُلٍ شَجَاعٍ أَبَادَ كُلَّ جَيْشِهِمْ.
- خَزَى كُلُّ صَانِعِي الْأَسْلِحَةِ، بَعْدَ تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ،
- فَلَمْ تَسْعَفْ أَسْيَادُهُمْ، أَسْلِحَتُهُمْ الْمَزِيْفَةُ.
- التَّرْسُ وَالْدَّرْعُ لَمْ يَنْفَعَا الْجُنُودَ،
- مَعَ أَنَّ شَمْشُونَ قَتَلَ أَلْفاً بِعَظْمَةٍ وَاحِدَةٍ.
- أَسْلِحَةُ أَوْلَئِكَ الْمُقَاتِلِينَ صَارَتْ مُضْحَكَةً،
- فَفِي الْمَعْرَكَةِ صَارَ الْإِنْتِصَارُ بِعَظْمَةٍ وَاحِدَةٍ.
- صَرَعَ شَمْشُونَ أَلْفَ رَجُلٍ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ،
- وَعَلَّمَ الشَّعْبَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْتِصَارِ.
- وَالْآنَ، عَطَشَ شَمْشُونَ، بَعْدَمَا حَارَبَ، وَصَلَّى يَطْلُبُ الْمَاءَ،
- فَشَقَّ الرَّبُّ لَهُ مِنَ الْعَظْمَةِ نَبْعاً لِيَشْرَبَ.
- فَمِنْ مَعْجَزَةٍ خَرَجَتْ مَعْجَزَةٌ،
- لَكَيْمَا بِالْإِثْنَيْنِ يَتِمَّجَّدُ إِلَهُ شَمْشُونَ.

- قتل ألفاً في حربه من العظمة اليابسة،
- وعندما عطش، خرجت له المياه من العظام.
- حفر الرب من العظمة القاحلة فنبع له الماء،
- حتى تكون الآية التي صنعها عظيمة ومليئة بالأعاجيب.
- إنه شيء مدهش أن شمشون انتصر بدون سلاح،
- وأيضاً إنه أمر عجيب أن الماء وُجد بواسطة عَظْمة.
- في حضرة شمشون سالت المياه من العَظْمة،
- وإني لأعجب إذا كانت المعجزة صُنعت فقط لكي يشرب.
- كانت الآية عظيمة، كذلك التي صنعتها يد موسى،
- هناك كانت صخرة، وهنا عظمة صارت ينبوعاً.
- اندهش الإقليم من المعجزات التي صُنعت بواسطة شمشون،
- هذا البطل الجبار من أهل بيت الله.
- وبعدما صنع شمشون هذه المعجزة العظيمة،
- دخل إلى زانية في المدينة، كما كُتب؛
- وهنا لا أعرف ماذا أقول عن شمشون،
- إن قصته تربكني وتزعجني.
- أسمع إنه صلى، ونبعت المياه وشرب منها وارتوى،
- وبعد قليل أجده مع امرأة شريرة.
- انطلق مرة وقاتل ألفاً، كما لو كانوا واحداً،
- وبعدئذ كشف سرّه، وقصّت امرأة شعره، وصار سخرية.
- لماذا ذهب نذير الرب لتلك الفاسدة،
- إن قصته تخيرني، ولا أجد ما أقوله عن هذا.
- الرب وديع جداً وصبور، تجاه أبناء البشر،
- وعندما يسقطون، فليس هو الذي يدفعهم لذلك.
- أعمال شمشون القديرة كانت إخية.
- ولكن الأخرى الرديئة كانت تخص شمشون وحده.

- لم يكن الرب هو الذي أمره بالذهاب للمرأة،
- إنه بنفسه انتهى ذلك، والرب لم يمنعه، حيث إنه كان حرّاً.
- عندما عطش وسأل المياه، الرب أعطاه وشرب،
- وعندما أراد الذهاب للزانية، فعل كما أراد.
- ولكن كيف سيحكم الرب في الدينونة الأخيرة؟
- إنه ليس شأنك، فلا تقلق بأمر لا يخصك!
- ولكن ربما كان ذهاب شمشون للزانية،
- بسماع من التدبير، ليكون سقوطه لخلاصك،
- ويكون لك مرآة تكشف عيوبك،
- فترى نفسك ولا تسقط كما سقط.
- بعد ذلك ذهب شمشون إلى الزانية في المدينة،
- فثار السكّان واجتمعوا ليأخذوه أسيراً.
- قام شمشون في نصف الليل للعمل،
- واهتاج في نفسه بقوة ليجري معجزة.
- اقترب من أبواب المدينة المغلقة واقتلعها،
- وحملها على كتفيه وانطلق.
- رفع قائمتي الباب والعارضة مع الأبواب العالية ورحل؛
- هكذا صنع الرجل الجبّار، واحتقر وسخر من الحرّاس.
- هذا المنظر عجيب لم يقدر عليه أحد غير شمشون،
- فقد حمل نجبروت القوائم والأبواب والعارض على الأكتاف.
- لم يشأ أن يفتح الباب ويرحل كهارب،
- ولكنه اقتلعه تماماً كإنسان قوي جبّار.
- وعندما خرج، لم تعد الأبواب الموصدة أمامه قائمة،
- فقد كان مثال ابن الله هو الذي يقود ذاك العبراني.
- الهاوية هي زانية، وكل الأجيال كانوا رجالها،
- وهي قبضت على ربنا، ليكون كالآخرين معها.

- دخل الرب ونام وباب القبر كان مغلقاً عليه،
- وفي سداجتهم قاموا يحرسونه كما فعلوا مع شمشون.
- قام المخلص من القبر، وحطم في خروجه،
- كل متاريس الجحيم، ولم تعد قائمة أمامه.
- وهنا المشابهة، في ذهاب شمشون للزانية،
- فهي أيضاً كالجحيم، تجلب الدمار لكل مَنْ يقترب منها.
- هذا النموذج المرسوم على شمشون أعطاه قوة،
- ليرفع الأبواب وعوارض الحديد ويخرج كما صنع.
- كثيرون ذهبوا إلى تلك الزانية الفلسطينية،
- ولكن ولا واحد غير شمشون حطم أبواب مدينتها.
- كل الأجيال ذهبت إلى الجحيم الذي أهلك الجميع،
- ولم يكن غير ربنا، هو الذي هدم جدران وأقام الأموات الذين فيه.
- هذا السر التهب في ذاك العبراني،
- قام وخلع أبواب القلعة بعد أن دخل عند الزانية.
- أربك الفلسطينيين بهذا الفعل العظيم،
- ورسم لهم صورة لحراس قبر الابن الوحيد.
- بأسرار إلهه، تقوى في أعماله،
- إنه شمشون النذير، الذي أضاء في أرض فلسطين.
- حمل البطل الأبواب والعوارض على أكتافه،
- وكما هو مكتوب: صعد إلى جبل حبرون ووضعها هناك.
- ولكن بعد ذلك فارقه الأسرار ليختبر،
- إن كان بنفسه سيغلب بدون إعانة.
- انتهى امرأة، وأيضاً زانية، وذهب إليها،
- فتآمرت معهم عليه، طالبة هلاكه.
- دبّرت مؤامرة، ووضعت شراكاً، وأخفت فخاً،
- حتى توقع الفريسة الصغيرة في الاحتقار.

- بدأت في دهاء تتمنّقه وتراوده،
- ليكشف لها عن سبب قوته الجبّارة.
- كلمته بغدر واحتيال،
- وبنعومة النساء تجاه الرجال.
- استمالته ليظهر لها أين يكمن موضع قوته العظيمة،
- ثمّ احتفظت بهدوئها لئلا يكتشف الخيانة الآتية.
- وفي أوقات أخرى بدت مسرورة، تحته وتسأله،
- ليكشف لها أسرار قلبه لتسخر منه.
- حفظ سرّه لزمان من الزانية،
- قائلاً لها شيئاً مخالفاً الحقيقة:
- «إذا ربطوني بسبعة أوتار طرية،
- أضعف». أمّا هي فعملت كما أخبرها.
- ولكن عندما أوقظته لترى إذا كان بالحقيقة قد فقد قوته،
- لم تختمله الأوتار التي ربطوه بها، كما لو كانت دحاناً.
- وكما يفعل اللهب المشتعل،
- في خيوط الصوف والكتان، هكذا صنع هو بها.
- ومع هذا، فالزانية، ألحّت عليه أكثر في هذا الموضوع،
- لم تقلق عندما رأت فشل أول مكائدها لتمسكه.
- ومرّة ثانية، أخذت الفاسدة في مداهنته، فأجابها:
- «إذا أوثقوني بحبال جديدة، أضعف».
- وهكذا فعلت، بحبال معقودة قوية،
- أوثقته بها وهو نائم، ولكنه عندما أوقظته قطعها.
- كانت قوته العظيمة كنذير تخدم داخله،
- وبها حارب وانتصر على كل القوات.
- حطّم القيود كما لو أن النار قد التهمتها،
- لا الأوتار ولا الحبال ثبتت أمامه.

- وأيضاً تعاود الزانية بمكر وصبر،
- تضع له شباكاً لا يمكن منها الفكاك.
- وأعادت المراوغة، واضطر لمجاوبتها،
- بسبب جسارتها واستمرار تملقها.
- «إذا ضفروا شعر رأسي بالوتد مع السدى،
- فحالا ستزول قوتي وأصير ضعيفاً».
- أمّا هي، التي كانت باستمرار تضع الفخاخ دون ملل،
- فقد نسجت شعره بمهارة، تماماً كما قال.
- وعندما نخسته، قام وقلع وتد النسيج والسدى،
- وأزعج الفلسطينيين، الذين تملكتهم دهشة عظيمة.
- ومع هذا، فهذه المخادعة لم تفشل، بكل أصناف فخاخها،
- فمازالت ساهرة على فعلها.
- وأيضاً، تزلفته وأغوته وضايقته،
- انتحبت، هزلت، حشت، تشاجرت وأحزنته.
- بكل مكيدة وإغراء وطريقة،
- تملقت شمشون، عندئذ، أباح بسرّه، وصار ضعيفاً.
- أراها سبب قوته،
- وأين يكمن جبروته الذي لا يُقهر.
- قال لها: «أنا نذير من بطن أمي»،
- «ولم يعلّ موسى على رأسي من مولدي».
- ولكن إذا حلقت وقصّ شعر رأسي،
- فإن قوة نذري تفارقني، وأصير ضعيفاً.
- بمجرد ما التقطت المرأة منه السر،
- أرسلت ودعت الفلسطينيين للعمل،
- أنامته، وحلقت له، ثمّ دفعته،
- أيقظته، وقام متعثراً كإنسان ضعيف.

- سقط الرجل العظيم في يدي امرأة،
- كفّت عن أن تقطع وتسقط هذا السنديان الجبار.
- حفرت حفرة وطعنت الأسد، فسقط وغلب،
- وصار الرجل القوي أضحوكة للمرأة التي قهرته.
- كل الأرض علمت بخديعة المرأة ضد شمشون،
- وتحقّق المثل: «احفظ كلام فمك من المرأة».
- حواء ثانية طردت آدم آخر الذي هو شمشون،
- فسقط من عظمته التي كان فيها.
- سرقت منه كل قوة نذره،
- وصار ضعيفاً وسخرية كبيرة للفلسطينيين.
- حواء طردت آدم من الفردوس،
- ودليلة انتزعت من شمشون رتبته كنذير.
- مع بدء العالم، أقام لك آدم مرآة،
- وفي منتصف الطريق، أقام شمشون مثلاً آخر، إذا أردت أن تبصر.
- وهوذا دليلة وحواء تظهران بوضوح على حقيقتيهما،
- لكل من يريد أن يحفظ نفسه من الهلاك.
- فمع هاتين الاثنتين، ظهرت لك خديعة المرأة،
- ويصرخ النبي أيضاً: «احفظ كلام فمك من المرأة».
- واحسرتاه! على شمشون النذير الذي صار سخرية،
- أضحوكة وعاراً للأجيال الآتية.
- العظيم في البسالة الذي غلب الأسد في معركة،
- سقط في يدي امرأة، يا للمهانة العظيمة!
- كحية، عضّت النذير، وسقط عنه شعره،
- فصار ضعيفاً، شقياً، عاجزاً، مترنحاً.
- ما أن قنص الفلسطينيون الأسد، حتى اجتمعوا،
- ليسخرّوا بالرجل الذي ضاعف قتلاهم.

- ففي حنقهم قلعوا عينيه، وأذلوا بهاءه،
- أطفأوا سراجہ المنير ورؤياه.
- جعلوا عليه وصمة فظيعة ظاهرة،
- وانحط العظيم في مهانة عظمى.
- أخذوه وأوثقوه وكان يطحن في بيت السجن،
- وكان هناك مناسبة لاحتفال كبير للفلسطينيين.
- هذه المواضع التي في الأسفار الإلهية،
- وضعها الخالق لمنفعة الجميع.
- فليقرأ وينتفع كل مَنْ يريد أن يربح نفسه،
- بالكنوز المخبوءة لأجله في هذه القراءات.
- ها هو شمشون يطحن، من هو الذي لا يهرب من الزانية،
- ويسرع في طريقه، لئلا يصل إليه دخانها؟
- جعلت من النذير رجلاً مخلوق الشعر لأنه أذعن لها،
- فَمَنْ هو الذي لا يرتعب لسمع ما يجره الفجور؟!
- وضعت النير على العظيم، قاتل الأسد، ليجر الطاحونة،
- مَنْ هو الذي لها يستمع، إلا الأحق، الذي هو مثلها شرير.
- ليكن شمشون مرآة وشاهداً للمُفرزين
- ليكره الجميع الخطية والغواية وشراك الرذيلة.
- سقط الرجل في أيدي الذين ذبائحهم وجشهم،
- كانت تُكوَّم يومياً عالياً في تخومهم،
- ومن فرحتهم صنعوا احتفالاً عظيماً لمعبوداتهم،
- وهكذا، فإن داجون قيّد شمشون الذي أغاظهم.
- اجتمع رجال ونساء الفلسطينيين،
- للاحتفال العظيم الذي صنعوه لشمشون.
- وعندما سكرُوا من الخمر في احتفال فرحتهم،
- قالوا: «ادعوا ذلك العبراني ليلعب لنا».

- ليأتِ شمشون، ليراه الشعب ويسخر منه،
ويشاهد كل إنسان سقوطه ويفرح ويهزأ به.
- عندئذ جاء شمشون العظيم، ساقطاً من عظمته،
الرجل العاتي هبط من موضع عليائه.
- الرجل المختار ضلّ، اشتهى، وصار عاشقاً لزانية،
النذير الذي فقد كل بهاء نذره وقوته.
- صار مخلوق الشعر، أعمى وأضحوكة لكل الفلسطينيين،
تلاعبوا به، أجبروه على الرقص ليضحكوا عليه.
- إلا أن، هذا البائس، في ضيقه وحزنه العظيم،
تحرك ليثأر من الفلسطينيين.
- طلب منهم أن يدعوه يستند على الأعمدة في البيت،
كرجل أرهق ويريد الراحة من التعب.
- اقترب وقبض على عمودي المنزل الكبير،
وصرخ للرب ليعطيه قوة في ضعفه.
- هنا يعلم شمشون أنه حتى ولو سقط إنسان من أمام الله،
فبمجرد أن يصرخ للرب بخرقة قلب، فإنه سيُسمع له.
- فإن الرب لا يمنع أبداً رحمته عن الذين يسألونه،
حتى ولو سقط إنسان في شهوات شائنة.
- فبمجرد أن تدخل الندامة إلى نفسه،
وتطرد رواسب الشهوة التي جعلته مُعكراً،
وبحكمة ترفع النفس الصلاة إلى الرب،
فهو يستمع لها، ولو كانت مثقلة بربوة من العيوب.
- صلي شمشون بعدما سقط من رتبة نذره،
وبعدما انسحبت منه قوة الله وتخلت عنه.
- صلي شمشون بعدما فقد مع الزانية حواسه،
وبعدما أسلم نفسه بإرادته للهلاك،

- صلى بعد أن أسلمه الرب للفلسطينيين،
ولم يقم ليساعده عندما قلعوا عينيه.
- بعدما حدث كل هذا، صلى شمشون،
ولأنه صلى بانسحاق، سمعه الله وأعطاه سؤله.
- لقد قنع في نفسه أنه قد فقد جلال نذره،
وأنه قد تجرد من قوة شجاعته،
وأن روح الرب، الذي به كان ناجحاً، قد فارقه،
وأنه لن يستطيع، وهو في التخلية، أن ينتصر في المعركة.
- بسبب هذه الأشياء، دخلته التوبة وأيقظت روحه،
وبقلب مكسور قام الرجل وقدم تضرعات.
- والرب، الذي يطلب أن يشفي أولئك المنسحقين القلوب،
استمع لشمشون، مَدَّ إليه يديه، وقواه.
- عندئذ قام بقوة على أعمدة البيت وأسقطها،
وقلب فرح الوثنيين إلى حزن بالرعب الذي أحدثه.
- أوقع الأعمدة وتحطم بيت الفلسطينيين،
بغضب جلب دماراً لأولئك الجالسين فوق وأسفل،
ملاً البيت بأكوام جثثهم،
وأنتنت الأرض بأعداد الأموات التي كدسها.
- فكانت ضربة شمشون الأخيرة أعظم من كل سابقاتها،
مبارك هو الرب الذي يصغي لكل الصارخين إليه.

